(١٦)

الإنسان
لاهوت الروحية وكتاب الحقية
من الأزلية بأبويه إلى الأبدية بولديه
روح خالد لا نهائي

حديث الجمعة

٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١ ديسمبر ١٩٦١ م

ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب.

ما كان لعقل في سجنه من كائنه المادي أن يكلمه الروح إلا وحيا أو من وراء حجاب برسول من المادة في عالم المادة أو برسول من النور في عالم النور.

ما كان لبشر أن يكلم باطنه ظاهره إلا وحيا أو من وراء مرآة له من نوعه. وما كان لظاهره أن يرتفع بكلامه لباطنه إلا تضرعا خفيا أو من وراء حجاب من نوعه من ظاهره.

إن البشرية هي انعكاس لعوالم النور وعوالم النار في سرابيل من قطع الظلام.

إن الله قائم على كل نفس بما كسبت.

إن الله أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد.

إن الله قاب قوسين أو أدنى من الإنسان.

هو معه أينما كانت نفسه، سواء أولجها في الأرض مكونا، أو أخرجها منها باعثا، أو عرج بها في السماء معلما، أو ردها إلى الأرض مرسلا.

إن الذي خلق الخلق، يوم كان ولا شريك معه، هو على ما كان عليه لا خلق معه ولا شريك له.

إن هذا الذي جاء به الأنبياء جميعا بلاغا محمولا للناس، وقام به عباد الرحمن قياما مدركا لأنفسهم، مثلا أعلى لله في الناس، مشهودين به من الناس قدوة لهم وبشرى لمآلهم، هو ما يعودون به مع من صلح من أممهم أرواحا وأقداما ليبينوه مرة أخرى للناس.

يقيمون الدين ولا يتفرقون فيه. ويوحدون أنفسهم ولا يتشتتون بها.

إن الذي تأتي به الروحية في هذا الوقت، وقد كان في قديم عصر من الإنسان قاصرا على الحكماء والأولياء والرسل والأنبياء، أصبح حقا منشورا، وأمرا للناس موفورا، وعرضا للناس يكسبونه ما كسَبوا أنفسهم، ويعرفونه ما عرفوهم من ربهم، ويعرفونهم من ربهم ما عرفوا لهم بابا يطرقونه، وإماما يقتدونه، وطريقا يسلكونه. ولا يقوم رشادهم ولا يتهيأ استعدادهم ما لم يقم لهم في أنفسهم عقيدة عن أنفسهم من التراب أو النار أو النور، وأنهم ليسوا لباسهم من جلابيبهم من مادتهم بذواتهم، وعرفوا أنهم أرواح وأن أجسامهم لباس من أشباح، وأن ذواتهم من المادة ظلال نفوسهم من النار، وأن نفوسهم ظلال عقولهم من النور، وأن عقولهم قيام أنوار أرواحهم، وأن أرواحهم قيام من الأعظم من روح ربهم، فعرفوهم وجوها وقياما له، وعرفوا أن ظلامهم لن يغلب النور فيهم وأن حجبه عن الظهور إلى حين، وأن الليل كما يعلمون بفجر يومهم سيسقط يوما، وسيتحرر بسقوطه جلباب النور منهم دوما، وعرفوا أنهم بظلام ذواتهم وبالتواء نفوسهم لن يعطلوا عمل الروح في معانيهم، ولن يحرموه الوجود في مبانيهم، وأنهم بصفة العدم فيهم لا يستطيعون أن يقضوا على صفة الحياة لهم، فالموت لا يغلب الحياة، ولو غلب الموت الحياة ما وصفت الحياة بالحياة، إن الحياة إنما هي صفة الحي القيوم، الحي الذي ما أحياه حي من قبله، والقيوم الذي لا يقوم عليه ظلام ولا يتغلب عليه عدم.

إن الإنسان بجلباب قيامه لباطن معناه إرادة ومشيئة. وإرادته فاعلة، ومشيئته قادرة قابلة. وليس له في الوجود بقانونه إلا ما سعى. فلو وجه إرادة معناه إلى عالم مبناه لرأى الحياة. وليس له من الحياة أكثر مما يجمع لنفسه منها في نشاطه وعمله اليومي وفق النية المقترنة بما يصدر عنه من الآثار.

إن البشرية في حقيتها إذا عرفت أنها إنما هي أقباس الحياة في سرابيل العدم، أنها إنما هي أقباس النور في سحب الظلام، أنها إنما هي جذوة النار المقدسة في بوادقها من الطين، أنها صفات الحقيقة في ظلال الخليقة، أن الظاهر بها مرآة الباطن لها، لكان للحياة البشرية على الأرض شأن آخر.

إن هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الله متواجد، وأنه بالله قائم، وأنه إلى الله يعود.. هذه الحقيقة المؤلهة للإنسان، هذا الحق المقدس لمعنى الإنسان، هذا الحق المكبر لقيام الإنسان، هذه

الحقيقة البسيطة، أنك من الروح العظيم، وأنك إلى الروح العظيم، وأنك بالروح العظيم قائم، أمر جالب للسكينة داع إلى السلام.

هذه الفكرة، التي إذا وجدت لها محلا للغرس في العقل البشري لكانت مولد ثورة في الذات، وفي النفس، وفي القيام، وفي المعنى، لمن غرس هذا الصدق في عقله فأدرك أنه من ربه، فارتد ببصره من التقلب فيما حوله في السموات والأرض راجعا إلى أعماق نفسه، منقبا في ضميره ووعيه، ارتد إلى ذاته أرضا وليدة ودنيا جديدة من الأرض التي ولدتها وبخيراتها غذتها، وهو على صدرها يدب، وبسمائها يستظل، ومن شمسها يستمد، تهبه الحرارة والنور والحياة.

إن الكائن البشري بين الأرض والشمس هو القمر الوليد، والعالم الجديد يستمد النور والحياة والإشراق من أبيه وشمسه، ويجدد أنسجته من أمه وأرضه. إن الأرض والشمس أبواه من الطبيعة، ومثالا عن الحقيقة. إنه اليوم إلى الأرض ساكن وراكن، والى الشمس راغب وطالب، فإذا ما نضج جلده ووعيه، وقطف ثمرة من شجرته فتحقق له الطلب، وقذفت به أمه الأرض قمرا بمعانيه إلى شمس أبيه الذي يؤويه، فجمع الشمس والقمر، وكشف له الأمر والخبر، يومئذ يعرف أنه لا إلى مادة ينسب ولكن على نور يحتسب، وأنه قد وضع عنه حمله فلا وزر، وعتقت رقبته وتحررت نفسه فلا ضجر. يومئذ يسبح في لا نهائي الوجود، متواجد له، لا يعرف سجن ذاته، ولا قيود جنة عرضها السموات والأرض، ولكنه بسلطان الله في وصفه، وبوجه الله لمعناه، وبقبس نور الله سربال جلبابه لذاته وأناه، انطلق، عتق، عتقت رقبته من تواجده في سجنه وقيده، فأصبح بيتا عتيقا وقلبا طليقا، رفع على سفن لإنسانية الله في ظل قوانين وجوده، بيتا أذن أن يرفع وأذن أن يذكر فيه اسمه، بيتا لله، وكتابا لله، ووجها لله، وقلبا لله، وغرفة لله، وقياما لله، وعالما لله.

هذا الحق البسيط الذي تأتي به الروحية في هذا العصر، الذي يأتي به عالم الروح في هذا العصر لعالم البشر، وهو منه، وهو أصله، وهو قيامه، وهو روحه لذاته، وباطنه لظاهره، وغيبه لشهادته، وهو قيامه في وحدته، هو من هو أقرب إليه من حبل الوريد، هو من هو قائم على كل نفس، هو من هو محقق لكل نفس ما تريد، هو من هو على كل نفس شهيد.

هو بعث الحق في الخلق، هو قيام الخلق بالحق، هو عِلم الساعة لمن اجتازها وعلمها، ولمن يريد أن يجتازها ويعلمها، هو علم الساعة يبهت من لا يخشاها ولا يعلمها، يبهت من لا يؤمن بها، هو الدين الحق، هو الحق الذي قام وراء كل دين، هو الحق الذي أخذ بيد كل مؤسس لدين، هو الحق الذي قام به كل الدين، وقام به اليقين عند من قام عنده اليقين، هو لا إله إلا الله، هو لا موجود بحق إلا

الله، هو آدم الله لآدم خلقه، هو محمد الله لمحمد الناس، هو الناس، إمام الناس، وظاهر الناس، وغيب الناس، من رب الناس ملك الناس إله الناس.

هو رب الناس لمن عَشِقَ المثل الأعلى في الناس ضرب لهم من أنفسهم، ربا وإلها وغيبا، يجهله من جهل فطرة الله، وصبغة الله، ورسول الله، ودين الله، والحق فيه من الله، ويعلمه من هو وجه الله، وكتاب الله، في تقيده بذات لعباد ذاته قريبا، وهو معنى الله في متابعة انطلاقه، وإطلاقه في عظمته بعيدا، هو لطيف الله روحا لطيفا لا يدرك إلا عند الأرواح التي سقطت عنها الأشباح، وقامت بالروح العظيم وآمنت بالأعظم، خلق فسوى وقدر فهدى.

إن هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الله وبالله والى الله، من الروح العظيم وبالروح العظيم، وإلى الروح العظيم في إيمان وعلم بالروح الأعظم، وفي قيام ويقين بالروح العظيم في الأعظم الواحد المطلق، اللانهائي السرمد، اللانهائي إلينا، واللانهائي منا، واللانهائي بنا.

إن الإنسان هو سر الأحدية وجها للعظيم وقياماً للأعظم. إن الإنسان هو وجه الله يتكاثر، وآدم الله وعالمه يتوالد بذاته ومبناه، يتجدد ويتكاثر بلا انتهاء حول مبناه لمعناه، يتواجد بموجوده بحقي الحياة تعاليا وتدانيا في أناه، فهو العظيم لما تواجد منه وهو الأعظم لما تواجد عنه. بذلك كان الإنسان محدثا على صورة محدثه، فهو عبد ربه ورب عبده، وهو إله ظاهره وظاهر إلهه، وبذلك عرف الإنسان مولاه في معرفته بنفسه، في معرفته بما أودع مولاه فيه من الأعلام عليه، علما له، ووجها لطلعته بمعانيه من ورائه محيط، وعليه قائم أقرب إليه من حبل الوريد، أقرب إليه من نفسه، قاب قوسين أو أدنى حتى لهو، لذلك كان المصطفى لآدم أصله بلا بدء. كُرم وشُرف فرعه وجديده بلا انتهاء.

إن الناس من الإنسان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فلا ينتهي بهم القول إلى كشف تواجد الحق فيهم، وها هو عالم الروح من الملكوت الأعلى الذي كان على مثالهم يوم كان على أرضهم، يعود إلى الأرض، ويحاول بعظمته أن يجعل وجوده في عودته لأهلها على ضآلتهم ظاهرا، وبينهم قائما مستخدما أرواحا من ملكوت أدنى حتى يكون وجوده محسوسا مدركا مسموعا مشهودا، فيجمع أهل الملكوت الأرضي على من يعرفون من سبقهم في الملكوت الأسمى من ملكوت قيامهم أحياء متواجدين مواصلين، حتى يزرع في أهل الأرض وأبنائها صدقه لعقولهم فيكشفوا عن أنفسهم حجب ظلامهم، بالإيمان بما يأتيهم به من أنهم من الله وبالله والى الله على مثال مما آل إليه أمر سبقهم، وحتى يعملوا لذلك في ظل عقيدة سليمة عن أنفسهم.

فإذا قبلت الإنسانية هذا الحق البسيط، وصدقت بما يحمل إليها، وصدق الناس في طلب هذا الحق لأنفسهم وعملوا له كانوا صديقين لله، وكانوا آباء لأبنائهم وأوادم لما يتواجد عنهم من عملهم ونسلهم، وأولية عذراء لمن يحيا بالحق منهم أو يحيا بالحق فيهم من نفوس بكر، تبدأ الحياة بامتدادهم، فتستيقظ من منامها، وتنفض عنها حجب غفلتها وظلامها، فتقوم من سباتها وتتفتح أعينها على الحق الممتد منهم فيها، وهي تنعكس إلى داخلها، وهي تدخل بيوت الحق من قلوبها، فتوقظ عقولها من منامها، وتحررها من سجونها ومن ماديات تواجدها وماديات روابطها، فتنفذ من أغلفتها التي تغلفت بها عقولها، كما تتحرر من الظلام تواجدت به قلوبها، فتملأ عقولها بالحكمة، وتملأ قلوبها بالحياة، تمتلئ روحا وتمتلئ حياة ووجودا، ثم تنفجر عما امتلأت به فتنتثر نجومها، ويتواجد سديمها، وتتجمع مجرتها فتتسع السموات بجديد من خلق لها يملأ فراغها بالحياة، وتعمل يد الله، ويقوم عضد الله، ويتجلى وجه الله فيعرف الناس أن خلق السموات والأرض هو الأكبر من خلقهم في تطور ظواهرهم ونمو جواهرهم، عوالم الله بما كان لهم في أنفسهم منه، بالله فيهم حقا وربا، بالله فيهم وحدة وتعديدا، بالله فيهم ظاهرا وباطنا، بالله فيهم متجمعا متوحدا، أو متفرقا منتشرا، بالله فيهم موجودا، وبالله فيهم وجودا، وبالله فيهم تواجدا، وبالله لهم وجها سعيدا ووجها مسعدا، وبالله هم موحدين[1] مُوحِدا، وبالله لهم تعاليا وتصاعدا لله بهم ظهورا وتواجدا.

هذا الحق البسيط أن الناس من الله وبالله والى الله، إذا دخل في الحياة اليومية يغير نظمهم في حكمهم، ويغير نظمهم في اقتصادهم، ويغير نظمهم في روابطهم، ويغير نظمهم في علومهم، ويغير نظمهم في سياستهم، ويغير نظمهم في حياتهم الفردية، وفي حياتهم من الأسرة، وفي حياتهم من المجتمع، ومن البشرية ومن الإنسانية، فيما يشهدون وفيما يطلبون وفيما يعرفون وفيما لا يعرفون.. يقلب مدنية الحياة الأرضية في صورتها المادية الحاضرة رأسا على عقب، وقد بدأ، وقد فعل، وإنه لفاعل، وإنه لمتم لما بدأ.

إن هذا الحق البسيط، إذا أخذه الناس جادين، وعرفوه صادقين، وطلبوه عاملين مجاهدين، يغير ما على وجه هذه البسيطة فيما يشهدون مما ينكرون أو يقبلون، فيما ينشدون وفيما يفتقدون، فبه يحققون ما يفتقدون، وبه يعرفون ما يجهلون، وبه ينكرون على ما يعلمون، وبه لا ييأسون على ما يفقدون، وبه تعلل لهم مفاجآت الأحداث من الطبيعة والناس على ما يرون ولا يعللون ولا يتعظون، إلا في حدود إدراكاتهم عن المادة مخطئين مستكبرين، أو مسلمين جاهلين مستذِلّين.

هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الروح وبالروح والى الروح على بساطته، هو كل شيء، ولا يخرج عن دائرته شيء، هو كل الأمر ولا يخرج عن دائرته أي أمر، ما عرفه الناس استقامت

أمورهم في أحوالهم، أفرادا وجماعات، أمما وبشريات، أطباقا من الخلق ومن الروح فوق أطباق وبعد أطباق، يخرجون من الأرض إنسانية بعد إنسانية، بعثا وخلقا كالجراد المنتشر لا يتوقف لهم بعث، ولا يتوقف لهم خلق، ولا يتوقف لهم رقي ولا يتوقف عنهم جزاء.

إن الساعة، إن الأمر المجهول، إنما هي يوم يتواجد بينهم الداعي لا عوج له، ليس محلا لريبة وليس محلا لشك، وليس محلا لنقد، يوم تقوم الأرواح بالأشباح في عيان، يوم تقوم الأشباح حجبا للرحمن بالبيان فخشعت الأصوات للرحمن، لقاءً مع الديان، وجه إنسان لوجه إنسان، وجوه ناضرة لربها ناظرة، يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ يخرجون من أجداث أجسامهم إلى ربهم ينسلون، يومئذ يتحررون من أجسادهم ويبعثون من مقابرهم من قلوبهم، ويخرجون من ديارهم من ذواتهم، يتخلصون من مادياتهم، يتجهون إلى كعبتهم، يصلُّون إلى قبلتهم، يسيرون إلى حقي وجهتهم، يقصدون إلى وجه ربوبيتهم، ينسلون، ينسلَّون، يتحررون، متسترين، تعتق رقابهم من مادياتهم من ذواتهم مؤمنين، فتطرح نفوسهم سارية يُسريها الله ويسري بها إلى المسجد الأقصى لعقولهم، من المسجد الحرام من قلوبهم، سدرة المنتهى من موجودهم، في وجودهم من الله وبالله والى الله، من الروح العظيم يتواجدون، وبالروح العظيم يقومون، وإلى الروح العظيم يصيرون في اللانهائي الأعظم للانهائي معانيهم به، ولا نهائي عطائهم منه، ولانهائي تواجدهم فيه.

بهذا الحق البسيط الذي تأتي به الروحية في هذا العصر يتغير وجه الأرض وكم تغير ببوارقه من قبل، وتتغير معالمها وكم به تغيرت وبالغفلة عنه رجعت، في قائم وفي عاجل وفي آجل، إلى ما يريد الروح، ويرضي العقل، وتقبل النفس، فيرث الله الأرض ومن عليها بظهور عباد رحمته لعباد غفلتهم عنه، وبظهور حقه لحقائقه، وبظهور خلقه لخلائقهم به، وبظهور فعله لانفعالاته.

لقد جاء محمد عبد الله ورسوله بهذا الصدق وهذا الحق البسيط، جمع من شَتَات وشُتت من اجتماع، جمع من الله وبالله وإلى الله، فكان بيننا بعثه، بقديم حقه وقديم إنسانه، بدءا لجديد له، على ما كان في قديم منه، فكان محمد بذاته، وبصفاته وبمعنوياته، وببيته، وبأسرته، وبأمته وببشريته من قيامه، وإنسانية عصره عنوانا على معنى الإنسان في حقه البسيط من الله وبالله وإلى الله.

أَرجَع البصر كرتين فكان له ما أراد بما يراه في نفسه، ما كذب الفؤاد ما رأى كان وما يريد مع ما كان يجهل، كان وما يريد مع ما كان يرجو ويطلب، كان قاب قوسين أو أدنى من حقه لخلقه، من ربه لعبده، من أزله لأبده، من غيبه لشهادته، كان القديم أو كأنه، وكان الآتي أو كأنه، وكان الحق

القائم على النفوس أو كأنه، به جاء الحق ومنه أمر، {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}[٢].

أخرج المكذبين له من أهل الكتاب من صياصيهم لأول الحشر فكان أول الحشر وأول الساعة وأول القيامة، وكان الحاشر وعِلْم الحشر وعَلَمه، وكان الساعة وعِلْم الساعة وعَلَمها، وكان القيامة وعِلْم القيامة وعَلَمها، البدء على ما بدأ، والانتهاء على ما به بعث وإليه انتهى عند كل طالب للحق قائما لا يغيب، عند المؤمن بالقيامة في قيام الله على كل نفس، عند المؤمن بالساعة في إيمانه بالله بالمرصاد سريع الحساب، سريع العقاب، سريع الإجابة لمناديه وداعيه، لا يحدث في وجوده حادث بجديد له، أو جديد فيه، فأمره على ما اتصف قائم بما وصف، في أزل وأبد وقيام.

أبلغ رسول الله هذا العلم على إجمال بإشارة، وعلى إفصاح بعبارة، وأقامه على إعجام في فعل أو تلميح في قول، كما تخير للإيضاح والأمانة لهذا العلم من قومه في عصره القليل ممن تخير له، عترة لكتابه، ودواما لخطابه، وتجددا لوصفه، ودواما لوجهه، وجعل منهم عترة الكتاب، وصنوَه، وأساس الدين وعماده وإقامته، فاختار لنفسه أعلاما لم يبح بها لغير نَفسه، ضمانا لأمان أمره، وقيام رسالته، ومواصلة رحمته، عرف عن أحدها نَفسَه من بيته وأهله، معرِّضا له للبلاء ومصطفيه للابتلاء، لتقوم به قدوة ظاهرة وأسوة صابرة، فيجعله باب مدينته، وكتاب كلمته، وترجمان مقاله، ومظهر أحواله، وحوض رحمته، ووجه حضرته، فواصل بالخير كله.

فارق الرسول ولم يأخذ معه شيئا من هذا الخير كله، فترك ببيته وعترته وأمته في البشرية الخير كله، ترك البسملة لأمته لم ترفع معه، وهي تشريفه وشرفه، وبتركها لأمته من بعده زاد تشريفه وشرفه، فعرَف من أمته ما في نفسه، من صار بمحبته نفسه، فآله وبيته وكتابه وعترته، أعطى ما أعطيه مما احتفظ به من العلم لذاته وذواته من ذويه، وقام بما قام به من البسملة باقية في أمته، بقاءً فيه، فبقي الرسول للناس ببقائها، وتجددت وتعددت ذاته بتجدد وتعدد أهلها، ممتدا بالنور الذي أنزل معه، وبالحق القائم به من ربه، وامتد صراط ربه مستقيما قياما به بامتداده في أمته من صالحيها من الناس والناس جميعا له أمة، امتدادا لسبيله على بصيرة، هو لا يغيب، ومن اتبعه يتجدد، نورا لله متزايدا، وظلا لله ممتدا، ورحمة من الله مهداة.

فكان ختما للنبيين وبدءا للعابدين، ومثلا أعلى للأولين وبشرى للآخرين، ما أعطيه فلأمته، الخير فيه وفي أمته إلى يوم القيامة، لا زالت طائفة منها قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة القائمة في إيمان المؤمنين، والقيامة القائمة في قيام الموقنين، ولا قيام لهما عند المكذبين، إلا يوم تبهتهم سطوة العارفين، الذين كانوا ببدئهم على الأرض هونا يمشون، وسلاما للجاهلين يخاطبون. إن

القيامة والساعة إنما هي يوم ينصر الله عباده على خلقه، فيوليهم أمر الأرض، فبهم يرث الأرض، وبهم يقيم ملكوت السموات ممتدا إلى الأرض، فتبدل الأرض غير الأرض، ويعرف ويسود شعب الكتاب ونور الأمم.

لقد جعل الله المثل الأعلى في العوالم في السموات والأرض مثلا له، فكان بذلك مطلوب أهل السموات وأهل الأرض لأنفسهم على ما هو مع المثل الأعلى منهم ليكونوه بجهدهم، فكان محمد هو المثل الأعلى من أهل الأرض لأهل الأرض، وكان ربه المثل الأعلى من أهل السموات لأهل السموات.

وكان وربه أعلاما على الغيوب وعلماء بالغيب والشهادة لعوالمهم، فكان في تعاليه وترقيه في طريقه إلى معاني ربه وعالمه، وكان ربه في تدانيه وتقاربه من خلقه إلى معانيه وعالمه. ولذلك قال الرسول خلفت الله عليكم، وهذا أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم. كما قال فاطمة ابنتي روحي من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله. اتبعوني فيما أنا فيه إلى ما أنا إليه يحببكم الله، ولا تؤمنون حتى أكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم وأنفسكم. كما قال الله {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[٣].

فقال هو إذا كانت القيامة - من قيامه في معاني ربه لعالمه - انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسبي وسببي وصهري. أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون.

لقد انتهى رسول الله إلى مراده، وقامت في ملكوت الله الأعلى حضرته، وقامت بالله قيامته، وجلس في ملكوته يقول يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي فيما تقدم وتأخر من ذنبي وجعلني من المكرمين.. فأذن له الله أن يتصل بأمته وأن يعلمها بما آل إليه أمره.

وها هو يرسل باسم الحق أبواقه من ملئه في الملكوت الأعلى أرواحا مرشدة. وها هي الأرض تنشق عنه نفوسا مستجيبة لنداء الروح العظيم. تكاثرت لطلعته للناس وجوهه، وتعددت لنجدتهم أياديه. وامتدت للفقراء موائده. ونصبت للراوين أحواضه. فسعت بين الناس أقدامه. ورفعت لهم بينهم في اجتماعهم عليه أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها...

دوائر الروح، وهل يحيي المادة غير الروح؟ وهل يسعد المادة غير الحياة؟ ها هو روح قدس الله.. ها هو رسول الله، يعمل لخلاص عالم المادة من المادة.. ها هي المادة تتكشف عما فيها من الروح الأعظم بالروح العظيم.

ها هو الحق القائم على كل نفس يسفر بوحدانيته في كل نفس لكل نفس.

ها هو الحق المرسل لرسله للناس من أنفسهم يتكشف عن نفسه في وحدة الناس، واجتماع الناس عليه، أقرب إليهم من حبل الوريد، أقرب إليهم من أنفسهم.

ها هو الروح الأعظم يظهر في الناس للناس.

ها هي المادة تخشع. ها هي المادة تجزع. ها هو الظلام ينقشع. ها هي النار في الهشيم تندلع.

ها هو النور في آفاق الظلام من النفوس يشرق.

ها هي جبال النفوس تدك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا.

ها هي أرض النفوس تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها، ويقول الإنسان في حيرته مالها، فتحدث للبصير السميع أخبارها على ما كان من سبق أخبارها، فيبصر ما لا يبصر، ويسمع ما لا يسمع، وقد عمها الوحي بما أوحى لها فعلمت نفس ما قدمت وأخرت من أمرها، وقد تشتتت بين أرضها وسمائها، بين روحها ومادتها، بين ظاهرها وباطنها، بين مناديها ومجيبها من أمرها، فعلمت ذراتها من الظلام والنور من أعمالها مردودة إليها.

ها هي حقائق الدين تتكشف للمتدين، ها هي وعود الدين تتحقق لأهل اليقين على إشهار، وقد كانت على إسرار، ها هي القدرة تتعدد للطالبين على سفور، وقد كانت بين القبور. ها هي الأسوة تظهر بين الغافلين بجهاد واستشهاد. ها هي السماء تطبق على الظالمين. ها هي النفوس تتحرر في العالمين.

لقد بقي معنا رسول الله ببقاء اسم الله في أمته، حيا في قبره من قلوب الناس نائمين، صائحا من منبره، بأحياء القلوب عاملين، ومع الله في الناس متعاملين.

فمن الناس آدما، كان إلى الناس انطلاقه ليعم في الناس خيره، ويتحقق بدوام رسالته للناس اقتداؤه، وتبقى فيهم رحمته وأسوته، آدم أوادمهم، وأب آبائهم، وابن أبنائهم، وحق حقائقهم، وثمرة حقهم وعين حقيقتهم، عبدا لعبوديتهم يحتذى، ورسولا لرسالاتهم يقتدى، وحقا لحقائقهم يرتجى، عبد الله ورسوله من أنفسهم...

ومن النور قبسا من نور الله، فإلى النور كان انطلاقه، وإلى الرفيق الأعلى طلبه، فتوحد وتساوى ورفيقه وربه ومعلمه، محققا الأعلى منهما لهما سؤلهما، فاستخلفه خليله وحبيبه وعينه على الناس، منطلقا إلى الأعلى من آفاق النور لخيرهما في سرهما وجهرهما، فأرسل من حضرته لحضرة الناس باسم ربه رسله، وقد دفن بين الناس بظلامهم أمره وخبره، وانطوى اسم الله في أمته على نفسه من

ذاته وجوارحه من بيته وطائفيه، وحرمه وعاكفيه، ورفعت الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها للشياطين، وتهامس الناس على وجل باسم الرحامين، فتوالت مواكب الروح تحف بها ملائكة الرحمن إلى الناس في مقابرهم موقظة، مبشرة منذرة، فاستقبلتها البسملة في أمته مرحبة، وصاحبتها بنفوس مفتقرة مطالبة، على سنن مما كان يوم كان الرسول بنفسه على الأرض بين النفوس، فجاءته رسل ربه من الروح والملائكة، معينة جابرة، هادية راحمة، موفقة ناصرة.

إن الذي كانه محمد والذي آل إليه أمر محمد، هو في قديم له من أقدم كان، وإليه قبل أن يؤول إليه آل. وهو ما لم يعرف به، وما عرفه فيه إلا قديمه، هو له من ربه ربه، ولم يؤذن به لبيانه فيقومه في تكرار فقام فيه على سبق له لامتداد أزله في أزلية ربه، فكان ما أنزل عليه من ربه في مشهود ذاته من كتاب قيامه لكتاب دوامه، به يقوم وبه يبين، ومنه يستعين، إنما هو أصله منه آدم ذاته وجماع كلمات ذواته وبيت تدانيه، من بيوت رافعيه بدرجات معانيه، بيت مكثه بقيامه، وجديده بسلامه، ومتجدده لأعلامه، بمنابره لبيانه. ولكن الناس صرفوا حبهم إلى تراب لاهوته مظاهرين غافلين عن دوام قدسي ناسوته بينهم قائم من أنفسهم، وفي أنفسهم، يتكشفونه لأنفسهم وفيها عاملين إذا طلبوه فلاقوه فتابعوه في الله مجاهدين وله في أنفسهم طالبين.

وها نحن في هذا الزمان وفي هذا العصر، وقد غفلنا عن ذلك وحاربناه المرة بعد المرة، حتى اختفى بيننا خبره، وتشابه علينا أثره، يقوم لبقية الحق المتواصل بيننا عنوان عليه معجم عبد لله بيننا يتكلم بجهاز مشهود، يحمل اسم المعلوم ووصف عوده المرقوم هو روح قائم قيوم باسم رمزي معلوم يحجب عنا حقيقة أسمائه، ويدعونا بأخوته وأبنائه. يظهر لنا بوجه رمزي ثابت يحجب به عنا وجوهه في الحق الثابت، وإن كانت الحقائق لا يعنونها اسم ولا يجليها للظهور رسم، فعرفناه من نحب، وآمناه من نؤمن، ونعتناه على ما نرضى للمنعوت بكل ما نرضى. فلم ينكر علينا ولم يردنا عما إليه انتهينا. وأراد أن يزيدنا وضوحا فكشف لنا عن الدقائق مما يقوم بالحقائق، فعرفناه جديدا لرسول الله من جديده، وقديما لرسول الله من قديمه. جاء مع جديد رسول الله الحارث حارثا. وعوفي مع رسول الله إلى الرفيق الأعلى عافيا. كان في قوم رسول الله من قريش غريب قومه بأصله من اليمن رمزا لليمن والإيمان، رجلا من أمته عرف الرسول على ما يليق بالرسول، بموهوب أمره، روحا من روحه وسرا من سره، فقام به في سره وجهره. اقتداه محبا فهدي وحائرا فعوفي، فرآه منه في حاضره، ثم رآه منه في قديمه، ثم رآه منه في قديمه إليه في جديده، يحمل منه إليه، فعرف نفسه، وعرف ربه، وعرف أمره، وكتم سره، وأقام من أصحاب الرسول جمعه.

وها هو في هذا العصر يقوم بما قام به في ذاك العصر، على دقة في تقابل، وعلى استقامة في تعامل، وعلى حقيقة في توحيد، وعلى شريعة في تعديد، قديم من قديم، وجديد من جديد، وقديم لجديد، وجديد لقديم. كان للرسول وربه لا شريك لهما منه، فكان له الرسول وربه لا شريك لهما منه. أحب الرسول وآمنه حتى كانه، فكان منه من كانه. قرأه الرسول كتاب نفسه وهو إليه، وأقرأه الرسول كتاب نفسه وهو فيه. إنه أحد أصحابه الذين ما عرفوا في عصره ولا من بعده لما ظهروا به من ضآلة في شأن المادة ومتعلقاتها من أمور الدنيا. إنهم الشعث الغبر الذين إذا أقسموا على الله بمكانتهم عنده لأبرهم. صدقوا رسول الله فيما قال، وصدقوا الله فيما جاهدوا فصدقهم الله ورسوله بما وعد، فقاموا بهما وكانوهما.. وها هم اليوم في هذا العصر يظهرونهما.

هؤلاء هم جماعة الأخوة البيضاء الذين يظهرون بأسماء مستعارة في عالم الغرب، والذين وعدوا برفع الحجاب عن معانيهم من حقيقة الحقائق الذي يظهرون به، وهو الروح الأعظم لهم بوصفهم أرواح عظيمة.

هذا هو قديم الحق البسيط وجديده كلما تجدد برسالة. جاء به محمد الفطرة يوم حمل للناس البلاغ - أن الله قائم على كل نفس بما كسبت - أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، مع كل نفس أينما كانت، مولجة في الأرض بتكوين أو خارجة من الأرض بتمكين، أو عارجة في السماء برقي، أو مردودة من السماء ببعث أو رسالة، ويوم جاء محمد الناس بتحذير الله لهم أن يضيع الناس نفس الله من نوره لنفوسهم من الأرض بظلامها.

هذا الحق البسيط الذي تجدده الرسالة الروحية في هذا الزمان فتجدد الإسلام بكتابه، وتكشف الإسلام على فطرته، وتنفض الغبار عن عقائده، وهي تقول لنا أنتم بالروح العظيم، وأنتم من الروح العظيم، وأنتم إلى الروح العظيم، آمنوا بالروح العظيم أنتم فيه هو يشهد لكم في أنفسكم، وآمنوا بالأعظم قيام الروح العظيم منه خلقكم، وفيه عين معناه يعطيكم ما عملتم أن تكونوا به للانهائي فيكم. أنتم به فيه بمعناكم لمعانيه إرادة مطلقة لا تحد ولا تعجز. خلقكم أشباحا ونفخ فيكم من روحه أرواحا، وكشف عنكم غطاء مادتكم فعرفتموه في أنفسكم بوحدانيته فعرف، وأضفيتم به الدوام على كيان ذاتكم فقامكم فشرف فكنتم له وجوه، وصرتم به نجوم، وقامت بكم عوالم، فعرفتم الحق لا شريك له، وعرفتم الرحمة في غنى عن العالمين، وعرفتم الوجود ذات موجدة، وعرفتم الله روح موجودكم.

اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، اللهم ازرع في أرض ناسوتنا كلمة الحق لك، وتعهد غرسها ونموها وإثمارها وإغداقها وأبديتها وأزليتها وسرمديتها بك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا وتب علينا وتولنا في الصغير والكبير من شأننا، وأنزل السكينة والسلام على نفوسنا وأرضنا وقيامنا وإنسانيتنا.

اللهم ادفع عنا بلاء أنفسنا وبلاء الأشرار من خلقك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم وفقنا وسدد خطانا واكشف حجاب الغفلة عنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين. اللهم هيئنا لما خلقنا له باليقظة إليك، وقنا شر ما تهيئنا أنفسنا له بغفلتنا عنك، وأتمم لنا نورنا وأتمم لنا يقظتنا. وأتمم لنا سيرنا، وأتمم لنا يومنا في إشراقك، وأدخلنا في ليل رحمتك وسكينتك، ولا تدخلنا في ليل الغفلة عنك بما كسبنا.

اللهم إنا من ظلام أنفسنا قد تحررنا وتخلصنا برحمتك، اللهم فاعتق رقابنا من النار، وأطلق عقولنا في ملكوت جودك، وأطلق أرواحنا في سبحات وجهك الكريم. اللهم حررنا منا، وحررنا من الكون بسفليه وعلويه.

اللهم اجعل منا عبادا لك مخلصين لأمرك، صادقين في الوجهة لمرضاتك برحمتك لا باجتهادنا ولا بعملنا. اللهم أدخلنا حضرة رحمتك، وألحقنا ببيت عزك في بيوت عباد قربك وأهل رحمتك وقيام ذكرك.

يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.

٢ سورة الإسراء - ٨١

٣ سورة النساء - ٦٥